هو المخيم على العلاقات ، ولم يكن يبدو أن هناك تطورات في العلاقات ، أو أن هناك شحنات غير عادية من الاسلحة . وجاءت عملية « قطار المهاجرين » ، وما بدا من علاقتها بطلائع حرب التحرير الشعبية (الصاعقة) ، لتشير الى أن العلاقات قد اخذت تتدهور بين سورية والاتحاد السوفياتي .

٤ ــ وعلى صعيد الاقطار العربية عامة ، ومصر وسورية خاصة ، لم يكن هنالك ما يوحي بوجود تعبئة للحرب . وكانت التحركات العسكرية التي جرت في سورية ومصر ، توحي بالاستعداد لمواجهة هجوم اسرائيلي متوقع .

وهكذا حين اندلعت الحرب فجأة ظهيرة يوم السادس من تشرين الاول كان النبأ مفاجأة للجميع . ذلك ان كل الدلائل لم تكن تشير الى قرب اندلاع الحرب ، ولم يكن التوتر على الجبهات كافيا الى الدرجة التي توفر القناعة بقرب اندلاع القتال .

وكان هنالك عاملان آخران يزيدان من القناعة بعدم توافر التهيؤ للقتال :

أولهما : كون التنظيرات « العلمية » قد اتجهت خلال السنين الماضية ، التالية لحرب ١٩٦٧ ، الى أن الانظمة العربية غير قادرة على الحرب ، والى أن الجيوش العربية غير قادرة على القتال . وان الدول العربية تبحث عن امكانية « للسلام » تستفيد منها . وقد كان الاتجاه العام للتنظيرات السياسية يؤكد على هذه الحقيقة . الحرب لن تقوم لان انظمة البرجوازية الصغيرة سقطت في حرب ١٩٦٧ ، ولانها غير مستعدة لبناء قوات قادرة ومؤهلة ، وغير راغبة في تعبئة الجماهير واعدادها للقتال ، وغير قادرة على ذلك ان ارادت . ولهذا كان يعتبر كل حديث عن الحرب هراء .

وكانت هذه التنظيرات الآتية بعد هزيمة ١٩٦٧ ، المستندة الى التحليلات العلمية ، تزيد من قناعة المثقفين والمسيسين عموما ، بأن المجال الوحيد هو مجال « السلام » ، وبأن لا مجال للحرب ، وبأنه لا مجال « للسلام » عبر الحرب .

ولم تكن هذه « التنظيرات » خالية من الصحة تماما ، وان كانت بعيدة عن الصواب . ذلك انها أخذت جانبا من الصورة ، وتحدثت عن « الجانب الاستسلامي » في السياسة العربية . وهي اذ لحظت هذا الجانب ، الجانب السلبي : عدم تعبئة الجماهير ، عدم اعداد القوات المقاتلة سياسيا للحرب ، البحث عن سبل « السلام » ، ركزت عليه واعتبرته الجانب الوحيد في الصورة . ثم ما لبثت أن تجاهلت كل الجوانب الاخرى ، محاولة أن تسخر العلم لدعاواها السياسية ، وأن تخضع التناقضات لاوهامها ولتصوراتها الذاتية . ولما كانت تستهدف اعدام البرجوازية الصغيرة وافكارها وجيوشها وساستها لم تستطع ان ترى لدى هذه البرجوازية غير التذبذب واللامبالاة والعجز .

ولم تستطع هذه التنظيرات أن تلحظ ان البرجوازية الصغيرة الحاكمة تعيش ازمة حقيقية ، وانها لم تستطع أن توفر لنفسها « سلاما » مقبولا يبقيها في السلطة ، كما أنها لم تتحول الى أداة بيد الامبريالية ، حتى وهي تتراجع باتجاه المحافظة ، وانها بالتالي ظلت أمام نفسها وأمام جماهيرها مطالبة بأن تبرر وجودها . ذلك ان المعركة مع العدو الاجنبي المحتل تبقي لها دورا وطنيا لا يمكن تجاهله مهما حقد عليها البروليتاريون ، وان كان هذا الدور متذبذبا دائما ، رجراجا دائما .

وهكذا ساهمت هذه « التنظيرات » لا في اعطاء صورة غير حقيقية للوضع فحسب ، بل ساهمت في تضخيم مؤامرات الاستسلام وشحن قطاعات من الجماهير بروح السلبية والشك .

ثانيهما : ان الانظمة العربية ، وخاصة جمهورية مصر العربية ، لجأت خلال السنوات الماضية الى كل المحاولات لاحقاق تسوية سلمية . وكانت أحاديث المسؤولين المصريين